المرأة في مصر القديمة

الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين، أستاذ اللغة المصرية القديمة، بكلية الآثار، جامعة القاهرة ومستشار مكتبة الإسكندرية

إعداد الباحث

مهاب درويش

المرأة في مصر القديمة

في الوقت الذي كان فيه الرجل هو صاحب اليد العليا في كل زمان ومكان في العالم القديم، ولم يكن للمرأة من دور سوى دورها الطبيعي في الأسرة كزوجة وأم، كان دور المرأة في مصر القديمة علامة بارزة على طريق الحضارة المصرية منذ آلاف السنين، وعنواناً على حرص المجتمع آنذاك على استثمار كل طاقاته، وصولاً إلى أعلى درجات الرقي والتقدم دون تمييز بين رجل وامرأة، وكان أن تعاونا معًا في إطار نسيج رائع، أفرز للعالم أجمع هذه الحضارة التي جاءت بإنجازاتها سابقة لزمانها.

ونظرة فاحصة على دور المرأة في مصر القديمة من خلال ما سجلته لنا الآثار المصرية القديمة من صور لها، أو تماثيل منفردة أو مع زوجها وأسرتها، وما ورد عنها من أقوال الأدباء والحكماء، وما حملته من ألقاب، وما شغلته من وظائف، وما مارسته من دور في أسرتها وفي مجتمعها، كل هذا يجعلنا نلم بوضوح بصورة المرأة المصرية.

فقد مارست دورها الطبيعي كزوجة وأم، وبذلت كل الجهد لتهيئ المناخ المناسب لأسرتها لتكون منتجة، ولتحيا حياة سعيدة هانئة في نفس الوقت، ثم جعلتها الأسرة تتداخل في نسيج مجتمع قوي متماسك، وصل إلى درجة من النضج أهلته لإنجاز هذه الحضارة الرائعة.

لقد أظهرتها المناظر والتماثيل مع أفراد أسرتها وقد بدت عليهم علامات السعادة والهناء والترابط الأسري، كما أظهرتها مهندمة أنيقة رشيقة تبدو في أبهى زينتها وأجمل ملابسها، وقد بدت عليها علامات الصحة والرضا.

ويتضح من كل النصوص التي تعاملت مع المرأة أن الزوج والمجتمع كانا يكنان لها تقديرًا خاصًّا، فهي التي تحمل لقب "نبت بر"، أي "ربة البيت"، وهو لقب يؤكد وضعها المتميز بين أفراد أسرتها.

لوحة من الحجر الجيري الملون للأميرة 'نفرت إيابت'- الدولة القديمة،، متحف اللوفر

وبنظرة على التشريعات والقوانين المصرية، يتضح كيف أنها حددت للمرأة حقوقها وواجباتها في الزواج وعند الطلاق، وكذلك نظمت لها أمر الميراث حفاظاً على حقوقها وآدميتها.

إضافة إلى كل هذه الجوانب من حياة المرأة، هناك ذلك الجانب الذي ميزها عن المرأة في أية حضارة من حضارات العالم القديم، ودورها في المجتمع، ذلك الدور الذي يتضح من خلال الصفات التي نُعِتَتْ بها وألقاب الشرف التي أُسْبِغت عليها، والوظائف الهامة التي شغلتها، حتى أنها تمكنت منذ تاريخ مصر المبكر من حكم البلاد.

سن نـچم وزوجته في جلسة مودة، مقبرة سن نـچم، دير المدينة

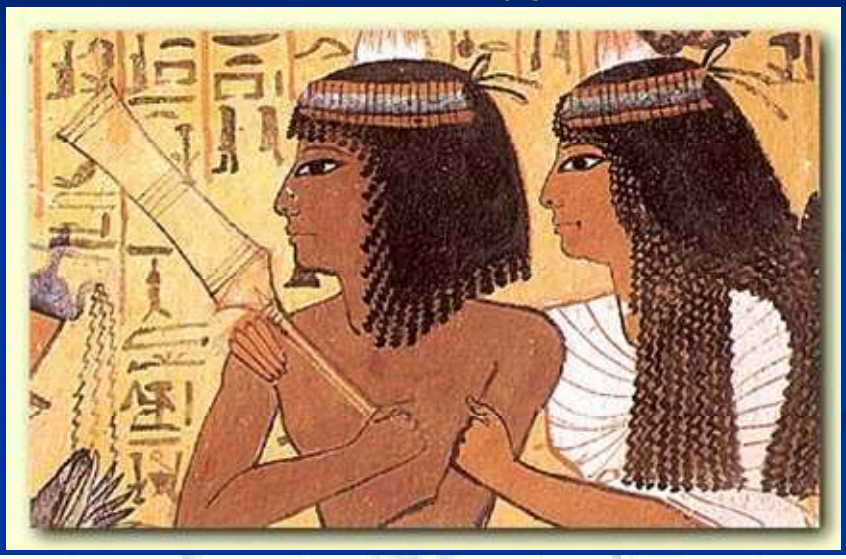

وإذا ما بدأنا ببعض الصفات والنعوت التي وصفت بها المرأة، فسنرى من بينها: "المنقذة"، و"العالمة"، و"قوية الساعد"، و"القابضة على الأرضين"، و"عظيمة القوة"، و"سيدة التجلي"، و"جميلة الوجه"، و"عظيمة المحبة"، و"المشرقة كالشمس"، و"منعشة القلوب"، و"صاحبة الرقة"، و"سيدة المحبة"، و"سيدة البهجة"، و"سيدة النسيم"، و"سيدة المرح"، و"عظيمة الاحترام"، و"طاهرة اليدين"، و"سديدة الرأي"، و"الموقرة لدى زوجها"، و"النبيلة"، و"محبوبة زوجها"، و"صاحبة العظمة"، و"سيدة رعاياها"، و"ذات الجاذبية"، و"سيدة كل السيدات"، و"عظيمة الفضل"، و"حلوة المحبة".

وحصلت المرأة على مجموعة من الألقاب الشرفية التي تشير إلى احترام مجتمعها لها، والتي تربطها أحياناً بالملوك والآلهة، فهي أم الملك، وأخت الملك، وزوجة الملك، وابنة الملك. وهي: أم الإله ، وزوجة الإله ، وسيدة الأرضيين ، وسميرة حور، والمفضلة لدى الإله، وسيدة كل السيدات،

وحسيبة الملك، والمعروفة لدى الملك، وابنة الإله، وسيدة التجلي، والمشرقة كالشمس، والعظيمة في القصر.

وتستمر المرأة في أداء دورها باقتدار فتشغل مجموعة من الوظائف الهامة الدنيوية والدينية، من بينها: كبيرة الحريم، ومغنية الإله، والعازفة، والموسيقية الكاهنة، والنادلة، والمرضع، والكاتبة، ومزينة الملك، والمربية، والمغنية، والمنشدة، والكاتبة، والمشرفة على متاع الملك، والمشرفة على راقصات الملك، ورئيسة الخزانة، والمجدفة، والمشرفة، والراقصة، والمطهرة، والحاكمة، والعالمة، ومقيمة الشعائر.

وفي إطار تقاليد الملكية المصرية، تلعب المرأة الملكية دورًا مؤثرًا، فهي المعبر الذي لابد أن يعبره الملك لكي يصل إلى عرش البلاد. فقد كانت التقاليد الملكية تتطلب أن يكون حاكم البلاد من أم ملكية، وإذا ما تعذر ذلك كان عليه أن يتزوج من إحدى أميرات البيت المالك، وإذا ما تعذر ذلك أيضًا كان عليه أن يلجأ لحيلة سياسية تغلف بإطار ديني تعرف بالولادة الإلهية، فنرى الملك الذي وصل إلى عرش البلاد من غير أم ملكية يذيع على الناس قصة مؤداها أن الإله تزوج من أمه البشرية، وجاء هو نتاجًا لهذا الزواج، وبهذا يحصل على شرعية من قبل الإله (لم تتوفر له من قبل الأم) تؤهله لحكم مصر.

ولعل أبرز الأمثلة على ذلك الملك أمنحتب الثالث، والذي ولـد لأم سـورية، فسجل على جدران معبد الأقصر قصة زواج الإله آمون من أمه السورية، وأنه جـاء نتاجًا لهذا الزواج.

وتتوج المرأة الملكية دورها في مجتمعها من خلال حكمها للبلاد، بالإضافة إلى بعض سيدات الأسرة المالكة اللائي لسن بحاكمات، لكنهن نجحن في إدارة دفة البلاد في الداخل والخارج بحنكة واقتدار.

والملكات الحاكمات هن:

1- مريت نيت، من الأسرة الأولى.

2- خنتكاوس، من الأسرة الرابعة.

3- نيت إقرت، من الأسرة السادسة.

4- سبك نفرو، من الأسرة الثانية عشرة.

5- حتشبسوت، من الأسرة الثامنة عشرة.

6- تاوسرت، من الأسرة التاسعة عشرة.

ولعل أبرزهن جميعًا الملكة حتشبسوت التي حكمت حوالي 15 عامًا (في الفترة من 1473 إلى 1458 ق.م)، تمتعت فيها البلاد باستقرار داخلي، وبسلام خارجي، وأفرز عهدها فنًّا مميزًا وعمارة رشيقة. ومن أبرز آثارها معبد الدير البحري في غرب الأقصر، والذي يقف شامخًا في حضن الجبل، وضع تصميمه مهندسها الشهير "سمنوت".

معبد البر الغربي "معبد الملكة حتشبسوت"

ومن أبرز أحداث عهدها تلك البعثة التي أوفدتها إلى بـــلاد يونـــت (بـــلاد الصومال واليمن) لجلب البخور الذي تتطلبه الطقوس التي تجري في المعابـــد، ثـــم المسلتان اللتان أمرت بقطعهما من محجر الجرانيت الوردي في شرق أسوان، واللتان أقامتهما للإله آمون في معبد الكرنك. وكانت قمة كل منهما مغطاة برقائق من الذهب، وعندما تنعكس عليها أشعة الشمس تضيء الدنيا بأكملها، ولا تزال إحـــدى المســـلتين تقف شامخة في الكرنك.

وسقطت الثانية وإن بقيت أجزاؤها في نفس المعبد بالقرب مـــن البحيـــرة المقدســـة. وتعتبر مقبرة الملكة حتشبسوت– التي أصابها الكثير من الدمار– من أضـــخم مقـــابر وادي الملوك. أما عن الملكات غير الحاكمات، واللائي أسهمن في إدارة دفة الحكـــم في البلاد، فمنهن:

1–إعح حتب الأولى، أم الملك أحمس الأول (محرر مصر مـــن الهكســـوس، ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة).

2–الملكة أحمس نفرتاري، زوجة الملك أحمس.

3-الملكـــة "تـــي" زوجـــة الملـــك أمنحتـــب الثالـــث، وأم الملـــك أخ

4-الملكة نفرتيتي، زوجة الملك إخناتون.

الملكة نفرتيتي

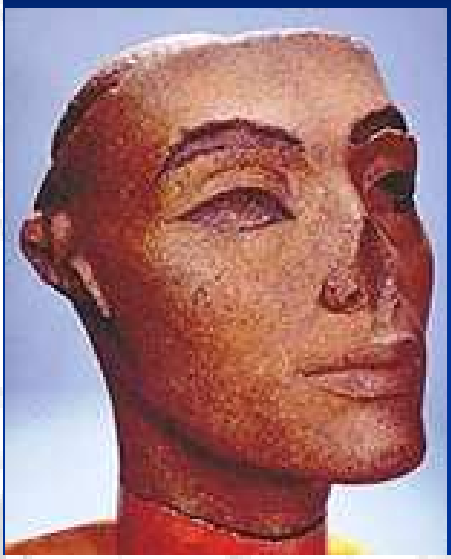

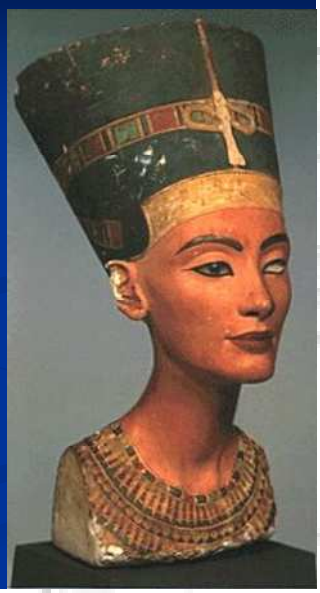

5-الملكة نفرتا ري، زوجة الملك رمسيس الثاني.

الملكة نفرتاري في وضع تعبدي.

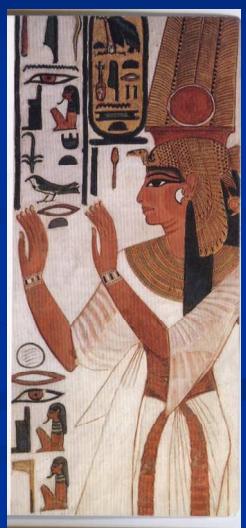

إيزيس ونفرتاري

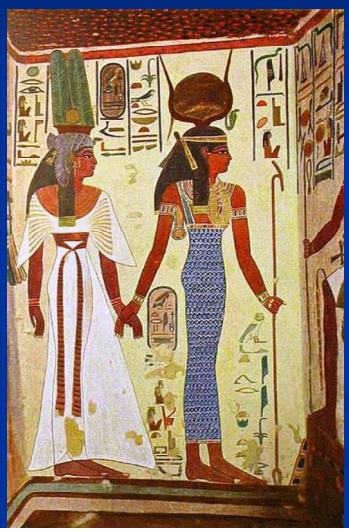

نفرتاري تستنشق نفس الحياة من المعبودة إيزيس

كانت هذه جولة سريعة في قلب وعقل المجتمع في محاولة للبحث عن موقع نصف المجتمع وإحدى دعامتيه الأساسيتين، المرأة. وجاءت نتائج تلك الجولة شديدة الثراء بما ألقته من ضوء على حياة المرأة المصرية القديمة، وجاءت الصورة ناصعة البياض، باعثة على الفخار، فقد عزفت المرأة مع الرجل سيمفونية حضارة متميزة، وقدما معًا للعالم – قديمًا وحديثًا المثل على أنه بإيمان الرجل بضرورة أن تسهم المرأة بجهدها في بناء المجتمع، يجيء التلاحم، ومن ثم يجيء الإنجاز.

لقد أعطت المرأة المصرية القديمة كل العطاء لأسرتها ولمجتمعها، بل وأعطت للإنسانية جمعاء، وكانت رسالتها واضحة وضوح شمس مصر الساطعة، شامخة شموخ الحضارة المصرية، قوية قوة عطاء الإنسان المصري، تمسك بزمام القيم التي أرساها المجتمع المصري القديم عبر العصور، قيم الانتماء والمثابرة والتسامح

والوفاء، خيِّرة كأرض مصر الخصبة، مانحة الخير والحياة، وفيَّة سخية كنهر النيــل العظيم، صافية صفاء سماء مصر إلى ما شاء الله.